علاقات التواصل الثقافي والتاريخي بين اليمن وشمال افريقيا خلال العصر الوسيط

د. راضي دغفوس *

□ تندرج العلاقات بين اليمن وشمال افريقيا ، لاسيما البلاد التونسية في إطار الهجرات العربية بصفة عامة «الهجرات السامية» من شبه الجزيرة العربية بما فيها اليمن نحو منطقة الشرق الاوسط «الهلال الخصيب» وكذلك نحو شمال افريقيا والقرن الافريقي ، وترجع هذه الهجرات الى الألف الرابع قبل الميلاد ، وقد تواصلت في العهد الوسيط في إطار حركة الفتوحات الاسلامية التي اسميتها من جهتي الانتشار الاسلامي خلال القرن الاول للهجرة دون اعتبار الهجرات الاخرى .

وكانت لهذه الهجرات نتائج مهمة في مسار التواصل الثقافي بين اليمن وتونس خلال العهد الوسيط .

وسوف أدرس في هذه الورقة النقاط التالية :

– أولاً :التذكير بالأصول المشتركة من حيث الانتماء بين سكان اليمن وسكان تونس .

– ثانيا: اليمانيون ودورهم في الانتشار الاسلامي في بلاد المغرب بما فيها افريقية «البلاد التونسية» في القرن الاول للهجرة.

– ثالثا: النتائج على مسار التواصل الثقافي بين البلدين .

الاصول المشتركة

أشير قبل كل شيء الى ان العرب ينتمون الى الشعوب السامية التي لها صفات مشتركة من ناحية اللغة واللهجات، فاللغات السامية منها العربية والعبرية وكذلك اللغات العربية الجنوبية المختلفة تتشابه في جذور الافعال والاصوات واصول المفردات كما هناك تشابه بين الساميين في ميدان التنظيم السياسي والاجتماعي والديني، وفي مجال العادات والتقاليد الاجتماعية والطقوس الدينية .ودون الوجوع الى مختلف النظريات التي صاغها العلماء حول الوطن الاصلي للساميين، فالملفت للانتباه هو النظرية الخامسة التي تؤكد على ان شبه الجزيرة العربية هي موطن الساميين وان الساميين هاجروا منها واستقروا في منطقة الهلال الخصيب ومصر وافريقيا الشمالية والقرن الافريقي لعدة اسباب منها الجغرافي «الجفاف وتغير الجو» ومنها السياسي «ضعف الحكومات» ومنها الاقتصادي «تغير طرق التجارة الشرقية».

انطلقت هذه الهجرات منذ الالف الرابع قبل الميلاد في شكل موجات مختلفة وبصفة متناظمة الى حدود القرن السابع بعد الميلاد نذكر خاصة:

– هجرة الاكاديين الى بلاد الرافدين

– هجرة الكنعانيين الى الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط وربوع الشام

– هجرة الآراميين نحو الشام والعبرانيين نحو فلسطين

وفي حدود سنة ٥٠٠ قبل الميلاد جاءت الموجة الخامسة التي حملت الانباط الى شمالي شبه الجزيرة العربية حيث اقاموا دولة عاصمتها البتراء، كما نزل التدمريون في شرقي حمص واقاموا دولة تدمر .

ولعل الموجة الاخيرة من هذه الهجرات تهم جموع العرب الذين خرجوا من الحجاز ونجد وعمان واليمن وحضرموت ليشاركوا في عملية «الفتوحات الاسلامية» او الانتشار الاسلامي في غضون القرن السابع للميلاد وقد استقروا في كل من الشام والعراق ثم مصر وبلاد المغرب وكذلك الاندلس .

وللحديث عن العلاقات بين اليمن وافريقيا الشمالية بما فيها البلاد التونسية – لابد من الرجوع الى النظرية الافريقية التي أكد اصحابها ، منهم ركس سميث بالخصوص ، على أوجه الشبه العرقية وكذلك التشابه في اللغة وانسجام التجاوب الاجتماعي بين العرب والبربر ، ومما يذكر هو ان علم الاجناس والدراسات الاثنية تؤيد الفكرة القائلة بأن شمال افريقيا هو مهد الساميين ، اما الدراسات الانتروبولوجية فتطرح قضية أصل الانسان واصل الجنس الابيض ومن ضمنه الساميين أي العرب والبربر .

وبالنسبة للعلماء العرب لابد من الاشارة الى نظرية ابن خلدون التي عرضها في المقدمة وفي تاريخ البربر ، وأكد فيها بالخصوص على العلاقات القديمة بين بربر شمال افريقيا «او المغرب» وعرب شبه الجزيرة العربية ومنهم اهل اليمن .

يعتبر ابن خلدون في المقدمة «طبعة دار الفكر ،ص ١٦–١٧» ان «اخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب الذين يغزون الى افريقية والبربر من بلاد المغرب اخبار عريقة في الوهم والخلط أشبه باحاديث القصص الموضوعة» ويذكر في هذا الاطار قصة افريقش بن صيفي في عهد موسى « الذي غزا افريقية وأثخن في البربر وانه ساماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فاخذ هذا الاسم عنه» .

ويواصل ابن خلدون ان افريقش « لما انصرف من المغرب حجز هناك قبائل من حمير فاقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجه وكتامه» ويؤكد في هذا المضمار ان ابن الكلبي والطبري والمسعودي وكذلك البكري وابن الاثير ثم نسابة البربر فيما بعد يشاطرونه هذا الرأي الذي يقول ان اصل البربر من الشام وانهم طردوا من فلسطين ايام داوود الذي قتل ملكهم جالوت».

أما المؤرخ المسعودي فيشير الى « ان ذا الاذعار من ملوكهم قبل افريقش وكان على عهد سليمان غزا المغرب ودوخه وكذلك ابنه ياسر الذي بلغ وادي الرمل ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع» .

يذكر ابن خلدون في تاريخ البربر (الجزء السادس ص ١١٧) «ان افريقش بن صيفي من ملوك التبابعة غزا المغرب وافريقية وقتل جرجيس وبنى المدن والامصار وباسمه سميت افريقية ولما رأى هذا الجيل وسمع رطانتهم قال :«ما اكثر بربرتكم» فسموا البربر» والبربرة معناها اختلاط الاصوات غير المفهومة .

ومما تجدر الاشارة اليه ان البربر شعبان :برنس ومادغيش الملقب بالأبتر .

اما البرانس اولاد برنس فهم من نسل مازيغ بن كنعان ، والبتر هم بنو بر بن قيس بن عيلان وهذا رأي النسابة البربر الذين قسموا قبائل البربر – على منوال التقسيم العربي للقبائل العربية «انظر ابن الكلبي وابن حزم وغيرهم من كتب الانساب» الى مجموعتين كبيرتين البتر والبرانس من أب واحد وهو بر أو بربر «حسب الصولي» .

يذكر ابن الكلبي من جهته ان كتامه وصنهاجه من شعوب اليمانية التي تركها افريقش مع من نزل، وتفيد رواية اخرى ان البربر اوزاع اليمن .

ويرى المسعودي ان البربر هم من غسان الذين تفرقوا بعد حصول سيل العرم في اليمن واستقروا في عدة أماكن خارج اليمن .

أخيرا يؤكد ابن عبد البر أن البربر اصلهم من ولد النعمان بن حمير بن سبأ اي من احفاد قحطان الجد الاعلى للقبائل اليمانية .

من خلال استعراض آراء المؤرخين والنسابة العرب نلاحظ وجود اختلاف كبير بينهم بخصوص اصل البربر وسبب تسميتهم، لكن ابن خلدون قد فند في نهاية المطاف الرأي الذي يقول ان البربر «ابناء ابراهيم عن طريق كنعان بن حام بن نوح» وبالتالي فإنهم اقارب للفلسطينيين وليسوا منهم .

وقد عبر احد المؤرخين العرب المحدثين «د.سعد زغلول عبدالحميد» ان الفرضية القائلة ان اصل البربر من الشام فيها شيء من الحقيقة على اساس انها تعبر عن الهجرات الفينيقية التي استقرت في المغرب وفي افريقية منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد وقامت بتأسيس مرافئ بحرية ومحطات تجارية على السواحل التونسية مثل أوتيكا «سنة ١١٠ قبل الميلاد» ثم قرطاج «سنة ٨١٤ قبل الميلاد» .

ان هذه الاشارات التاريخية رغم الطابع الاسطوري التي يميزها تبين قدم العلاقات بين اليمن والبلاد التونسية كما تطرح قضية الاصول المشتركة بين سكان البلدين : حمير من ناحية والبربر من ناحية اخرى .

السؤال المطروح هو: كيف تطورت هذه العلاقات في العهد الاسلامي وما هي مساهمة اليمانيين في حركة الانتشار الاسلامي في المغرب وافريقية ؟

اليمانيون ودورهم في الانتشار الاسلامي بأفريقية

بعد ظهور الاسلام في بداية القرن السابع للميلاد وتاسيس دولة المدينة سنة ٦٢٢م حصلت هجرات من الجزيرة العربية في اتجاة منطقة الهلال الخصيب وافريقيا الشمالية وذلك في نطاق حركة الفتوحات الاسلامية او الانتشار الاسلامي وشارك عدد كبير من اليمانيين «افراداً وقبائل» في هذه الهجرات التي ادت بهم الى الاستقرار في الامصار الجديدة «البصرة والكوفة بالنسبة للعراق والفسطاط بالنسبة لمصر» وكذلك في الاجناد الشامية، وتذكر المصادر العربية من كتب تاريخ وكتب فتوح وبلدان وكتب اموال حيث ان نسبة اليمانيين في معارك الشام والعراق «اليرموك والقادسية خصوصا» كانت هامة من الحجم مما يدل على قيمة المشاركة اليمانية في هذه الحركة « انظر دراستنا بالفرنسية حول اليمن الاسلامي مطبوعات الجامعة التونسية جزءان ١٩٩٥م ودراستنا بالعربية حول اشكاليات الانتشار في الاسلام المبكر – مركز النشر الجامعي تونس ٢٠٠١م ».

كما أن اليمانيين شاركوا ايضا بأعداد وافرة في الانتشار في البلاد المصرية وفي خلافة عثمان بن عفان شرع العرب المسلمون – بما فيهم اهل اليمن – في التوغل في بلاد المغرب برقة وطرابلس ثم افريقية ويشير ابن عبدالحكم في هذا الاطار إلى انه تم ارسال سنة ٢٧هـ/٦٤٧م ما لايقل عن ٢٠٠٠ رجل من اليمن «٦٠٠ من مهرة – ٧٠٠ من غنث و٦٠٠ من ميدعان» في الجيش الذي اسندت قيادته الى عبدالله بن ابي سرح .

وشاركت ايضا في معركة سبيطلة عناصر يمنية من قبائل مراد وكندة ولخم وجذام وبلي الى جانب الانصار «وهم من الازد» وصداء وبهراء والمعافر، من ناحية اخرى نجد العديد من القادة اليمانيين الذين ساهموا في احداث القرن الاول بأفريقية . معاوية بن حديج السكوني «من كندة» شريك بن سمي الغطيفي المرادي « من مذحج» رويفع بن ثابت الانصاري وزياد بن الحارث الصدائي.

من جهة اخرى تذكر المصادر مشاركة عناصر يمانية تنتمي الى قبائل كندة وحمير وسبأ ولخم وبلي وكانت مستقرة في مصر منذ عهد عمرو بن العاص في الحملة التي قادها معاوية بن حديج سنة ٤٥هـ/٦٦٥م ويشمل ذلك الجيش الذي بعد ١٠,٠٠٠ مقاتل شخصيات يمانية مرموقة مثل الاكدر بن حمام اللخمي، كريب بن الصباح الاصبحي، ابو زمعة البلوي حنش بن عبدالله السبئي .

وقد بدأت عملية الاستقرار الحقيقي في البلاد التونسية في العهد الاموي لاسيما بعد تأسيس القيروان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م . ومن المعلوم ان الجيش الذي ارسله يزيد بن معاوية تحت قيادة عقبة بن نافع الفهري سنة ٦٢هـ/٦٨١م يشمل مقاتلين يمانيين من بلي وحضرموت وحمير وغسان والانصار كما نجد ضمنه بعض الوجوه الكبرى مثل خالد بن حيان بن الاعين الحضرمي وأوس الانصاري .

وبعد نهاية الفتنة الثانية في المشرق كلف الخليفة عبدالملك بن مروان سنة ٧٣هـ حسان بن النعمان الغساني أحد اشراف اهل الشام من اصل يمني بإنهاء المقاومة البربرية وإتمام عملية فتح افريقية واخضاعها للنفوذ الاموي وقد شمل الجيش الذي اعده لهذه المهمة ٤٠,٠٠٠ رجل منهم عدة عناصر مستقرة في الاجناد الشامية وتنتمي الى قبائل غسان والمعافر .

اما القائد موسى بن نصير الذي كلفة الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك بإنهاء فتح كامل بلاد المغرب فقد ارسل العديد من الحملات البحرية في المتوسط منها الغزوة على مدينة سرقسطة في جزيرة صقلية قادها رجل من حمير اسمه عياش بن أخيل والغزوة الثانية في جزيرة سردينيا بقيادة يمني آخر من الازد يسمى عبدالله بن حذاقه .

اذاً، نجح العرب المسلمون في فتح افريقية وكامل بلاد المغرب في عهد حسان بن النعمان وموسى بن نصير قبل ان يتحولوا صحبة البربر الى الاندلس في حدود سنة ٩٣هـ/٧١١م .وقد لاحظنا ان القبائل اليمانية – بمختلف بطونها وعشائرها – لعبت دورا رائدا في عمليات الانتشار في افريقية والمغرب والاندلس .

وبعد فتحها اسندت ولاية افريقية تارة الى قيسيين وتارة اخرى الى يمانيين والملفت للانتباه في هذا الشان هو السياسة المرنة التي انتهجها الولاة اليمانيون ازاء السكان البربر وهي سياسة اساسها تاليف القلوب وادماج العناصر المحلية البربرية مع العرب المسلمين في اطار مجتمع منسجم لاتفرقة بين مختلف الاجناس.

من ناحية اخرى تواصل استيطان اليمانيين في افريقية في القرن الثاني للهجرة . ولعل خير برهان على ذلك ما جاء في بعض المصادر – من كتب تراجم وطبقات – حول اسماء العناصر اليمانية التي استقرت في عدة مواقع بافريقية مثل خالد بن حيان بن اعين الحضرمي وخالد بن ابي عمران التجيبي والاكدر بن حمام اللخمي والفقية بن محب بن حي المعافري وسعيد بن مسعود النجيبي وزياد بن انعم المعافري وعمران بن عبد المعافري وعبدالرحمن بن زياد بن انعم المعافري وغيرهم .

كما نجد في نفس هذه المصادر عدداً كبيراً من العناصر التي تحمل نسبة حميري وتجيبي ومرادي ومعافري وصدفي وحضرمي وهو دليل قاطع على كثافة الهجرة اليمانية واهمية الاستيطان اليمني في ربوع افريقية خلال القرنين الاول والثاني للهجرة .

اما الدليل الثاني على نفس الظاهرة فيتعلق باسماء المواقع الموجودة في منطقة مجردة والوطن القبلي ربما لها علاقة بالجموع التي اقرها والي القيروان يزيد بن حاتم بعد تسريح قسم من الجيش الاموي الذي ساهم في عمليات الفتح نذكر بالخصوص لزدين – كلبين – مهرين – بلي والانصاريين وهي اسماء مواقع ربما اشتقت من اسماء قبائل الازد وكلب ومهرة وبلي والانصار التي تنتمي كلها الى المجموعة اليمنية .

وتقدر مجموع العناصر العربية ومنها اليمانية التي استقرت في العهد الاموي بحوالي ٥٠,٠٠٠ شخص اما الجيوش التي ارسلها خلفاء بني امية ثم بني العباس من الشام ومن العراق ومن فارس لقمع الثورات البربرية فيقدر عددها بين ١٥٠,٠٠٠ و١٨٠,٠٠٠ رجل واذا استثنينا منهم القتلى في مختلف المعارك يبقى حوالي ١١٠,٠٠٠ استوطنوا بافريقية وتحول ما يقارب ٤٠,٠٠٠ رجل الى الاندلس ليستقروا بها .

اذاً، اصبح العنصر المضري اكثر حضورا في افريقية في العهد العباسي وذلك على حساب العنصر اليمني الذي كان مسيطرا قبل ذلك . وقد كان اليمانيون مستقرين بالخصوص في المدن مثل القيروان وتونس والزاب وكذلك سوسة وصفاقس وقابس وقسطيلية .

يذكر اليعقوبي ان القيروان « فيها اخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها اصناف من العجم من اهل خرسان» ومن اهم البطون اليمنية نذكر كلب والمعافر وتجيب والصدف وغيرها ، من ناحية اخرى انشئت حول القيروان قرى يمنية مثل قرية الجهنيين « من جهينة» وقرية صدف «من كندة» وغيرهما .

اما في تونس فنجد حضورا قويا بالنسبة لبعض القبائل اليمنية مثل تجيب والازد والمعافر وتنوخ والانصار الى جانب كندة وبلي والصدف . وفي منطقة الزاب تواجدت عناصر من الازد وكلب، كما نجد عناصر من غافق والصدف وتنوخ «في صفاقس» من رعين «في سوسة» واخيرا من الانصار في «قابس وبلاد الجريد» .

اما مدينة الابرس وهي عبارة عن معقل حربي هام يقع على تخوم جبال أوراس العامرة بالبربر من كتامه وجراوة وغيرهم – فقد استقرت فيها بعض العناصر اليمانية من غافق والكلاع الذين يرجع دخولهم لافريقية الى عهد الخليفة الاموي هشام بن عبدالملك .

النتائج على مسار التواصل بين اليمن وتونس

بعد الانتشار ثم الاستقرار في افريقية لعب اليمانيون أدوارا متعددة في تاريخ البلاد التونسية خلال العهد الوسيط .

- من الناحية العسكرية :

شاركت العناصر اليمنية في الحملات البرية والبحرية التي قادها العرب المسلمون من افريقية في اتجاه المغرب الاوسط من ناحية وجزر المتوسط من ناحية اخرى ، كما ساهم اليمانيون – كما اسلفنا القول – في عمليات فتح بلاد الاندلس بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير ، وتوضح المصادر حضور العديد منهم في جيش طارق الذي بلغ عدده ١٢,٠٠٠ رجل كما تبين انتماؤهم الى قبائل الصدف ، ولخم وسبأ والسكاسك وحمير والانصار .

اما القادة فتذكر منهم على بن رباح اللخمي سبيح اللخمي وعياش بن اكيل الحميري وحنش بن عبدالله الصنعاني الى جانب اسماء ثلاثة قادة آخرين شاركوا في الحملات التي استهدفت مواقع في جنوب بلاد غالة وشرق اسبانيا السمح بن مالك الخولاني الذي فتح مدينة نربونة وعنبسة الكلبي الذي قاد عدة غارات في اتجاة منطقة البروفانس وبلنسية واخيرا عبدالرحمن الغافقي الذي عينه الخليفة هشام بن عبدالملك واليا على الاندلس والذي بقي اسمه مرتبطا بمعركة بلاط الشهداء ضد القائد الافرنجي شارل مارطال .

- من الناحية الاجتماعية :

كون اليمانيون في افريقية ارستقراطية حقيقية بمختلف درجاتها لاسيما في المدن مثل القيروان ، والجدير بالذكر ان القبائل اليمنية اختطت في العاصمة الافريقية منازل ومساجد صغيرة تحمل اسماء مجموعة من الشخصيات المتميزة مثل ابي عبدالرحمن الحبلي المعافري وحنش الصنعاني وعلي بن رباح اللخمي .

كما توجد بالقيروان عدة مواضع تحمل اسماء يمنية كرحبة الانصار وحارة يحصب ومقبرة البلوية ، مما يدل على اهمية الحضور اليمني في المجال الحضري .

من جهة اخرى انشأ بعض قادة الجيوش أسراً أصبح لها جاه وسلطان بالقيروان ومن هذه البيوت والاسر تذكر المصادر بيت بني معاوية بن حديج الكندي وبيت ابي حسان اليحصبي وبيت بني مسلمة بن سوادة الجذامي وبيت يزيد بن منصور بن عبدالله بن يزيد الحميري.

- من الناحية الادارية:

تواجد اليمانيون بكثافة في دواليب الحكم بافريقية سواء بالنسبة للولاية والدواوين أو بقية الوظائف مثل الحجابة والكتابة والشرطة والجباية والقضاء .

كان عدد ولاة المغرب اليمانيين في العهد الاموي خمسة من مجموع عشرة وفيما يلي اسماؤهم :

موسى بن نصير ثم ابنه عبدالله بن موسى
بشر بن صفوان الكلبي
عقبة بن قدامة التجيبي
حنظلة بن صفوان الكلبي

اما في العهد العباسي فقد احصينا سبعة ما بين سنة ١٤٤ وسنة ١٨٤ تاريخ تأسيس الدولة الأغلبية وفيما يلي قائمتهم :

محمد بن الاشعث الكندي
عمر بن حفص المهلبي
يزيد بن حاتم المهلبي
روح بن حاتم المهلبي
حبيب بن نصر المهلبي
محمد بن مقاتل العكي

كما تواجد اليمانيون بكثرة في سلك العمال في المناطق الافريقية «طرابلس والزاب بالخصوص» وفي الدواوين التي انشاها حسان بن النعمان وطورها من بعده موسى بن نصير .

تولى اليمانيون كذلك خطط الحجابة والكتابة وصاحب الشرطة والجباية والقضاء.

وقد تفردت كتب الطبقات والتراجم بذكر القضاة اليمانيين مثل عبدالرحمن بن رافع التنوخي ويزيد بن الطفيل التجيبي وعبدالرحمن بن زياد بن انعم المعافري وماتع بن عبدالرحمن المعافري وابيه كريب المعافري وعبدالله بن عمر بن غانم الرعيني ولعل اشهرهم سحنون بن سعيد التنوخي.

اذاً هذا الحضور الهام في المؤسسات الادارسة والسياسية بافريقية يدل بصفة واضحة على المساهمة الفعالة لليمانيين في تركيز الحضارة العربية الاسلامية في كامل الجناح الغربي للخلافة .

- من الناحية الاقتصادية:

لعب اليمانيون ادورا هامة في عملية اعادة توزيع الاراضي وتغيير النظام العقاري بافريقية . وتشير المصادر الى دور حسان بن النعمان الذي استحوذ على الملكيات الشاسعة التي كانت بأيدي الامبراطور ورجال الادارة والجيش البيزنطي وقام بتوزيعها على العرب ومواليهم وعلى البربر الذين اسلموا .

كما ان موسى بن نصير الذي وسع مساحة الانتشار وزع اراضي جديدة مما سمح بتكوين نظام عقاري على الملكيات الكبرى . وقد افرز هذا النظام بدوره ارستقراطية عربية في اغلبها يمانية . وساهم الوالي يزيد بن حاتم المهلبي في تدعيم الملكية الكبرى حيث سرح عناصر الجيش الاموي بافريقية واقرهم في الاراضي الزراعية الممتدة في الشمال على ضفاف نهر مجردة .

في ميدان الحرف مارس اليمانيون عدة مهن واعتنوا بالتجارة . ويعود الفضل الى الوالي اليمني يزيد بن حاتم الذي قام بتنظيم اسواق القيروان وخص كل تجارة بسوق وعين على رأس كل سوق منها اميناً يقوم بمراقبة البضائع ويمنع الغش .

- من الناحية الدينية :

مثل اليمانيون اكثر من نصف البعثة التي وجهها الخليفة عمر بن عبدالعزيز في بداية القرن الثاني للهجرة لتعليم اهل افريقية أصول الدين الاسلامي ونشر مبادئه بينهم . والملاحظ ان هذه البعثة العلمية تعد عشرة فقهاء منهم سبعة من اليمن :

– ابو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد المعافري
– ابو مسعود سعد بن مسعود التجيبي
– موهب بن يحيى المعافري
– ابو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي
– ابو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير بن اليثوب الرعيني
– اسماعيل بن عبيد الله الانصاري
– ابو الجهم عبدالرحمن بن رافع التنوخي .

وبالتالي يمكن القول ان اليمانيين ساهموا بصفة فعالة في عملية التعريب واسلمة البربر بافريقية منذ القرن الثاني للهجرة وتوصلوا الى تكوين عدة اجيال تحفظ القرآن وتلم بعلوم الشريعة .

- من الناحية الثقافية:

تميز اليمانيون الذين استوطنوا في المدن التونسية بالمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم التي نقلوها معهم الى جانب نمط عيشهم كما ساهموا في العهد العباسي في نقل علوم العقل والكلام التي تعتمد على الجدل والمناظرة .

ويرجع الفضل الكبير للوالي يزيد بن حاتم المهلبي الذي جلب العلماء من الشرق الى افريقيا فاصبحت القيروان في عهده قطباً اساسياً من اقطاب الثقافة العربية الاسلامية .

ونذكر على سبيل المثال النحوي عوانه الكلبي واللغوي قتيبة الجعفي والاديب ابو مالك أبان بن الصمصامة بن الطرماح الذين وفدوا على القيروان ورسخوا فيها ابداعات اللغة العربية .

من ناحية اخرى رحل عدة علماء يمنيين من افريقية والمغرب الى المشرق طلبا للعلم منهم عبدالله بن غانم الرعيني وعبدالرحمن بن ابشرس الانصاري وعبدالله بن ابي حسان الانصاري وزكريا بن محمد بن الحكم اللخمي وسحنون بن سعيد التنوخي .

وللتدليل على كل هذه الخصوصيات التي تميز اليمانيين عن بقية العناصر العربية التي استوطنت بدورها بافريقية يمكننا التوقف قليلاً عند الثورات البربرية التي اندلعت في القرن الثاني واهمها الثورات الخارجية ضد الحكم الاموي ثم العباسي .. ما يهمنا ليس استعراض احداث هذه الثورات ولكن نريد فقط الاشارة الى ان اليمانيين شاركوا في هذه الثورات وساندوا البربر في مطالبهم المتعلقة بطرح الضرائب المسلطة عليهم والتي يعتبرونها مخالفة للشريعة الاسلامية . نذكر بصفة خاصة ثورة سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م في منطقة طرابلس وثورة سنة ١٣١هـ/٧٤٨م بقيادة عبدالجبار بن قيس المرادي والحارث بن تلد الحضرمي . وخلال ثورة الاباضية في طرابلس سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م وقع تعيين ابي الخطاب المعافري إماما لأول دولة اباضية في المغرب .

ان اليمانيين اصبحوا جزءا لايتجزأ من المجتمع الافريقي في العصر الوسيط ولا شك انهم ساهموا الى حد كبير في عمليات الاسلمة والتعريب ونقلوا من جهة أخرى العديد من تقنياتهم لاسيما في الميدان المعماري .

ولعل السائح الذي يزور الجنوب التونسي اليوم يلاحظ الشبه الكبير في نوعية البناء واساليبه وادواته في واحات الجريد مع البنايات الموجودة في عدة مدن يمانية مثل صنعاء وشبام وغيرهما .

الخاتمة

ساهم اليمانيون بشكل مكثف في عمليات الانتشار ثم الاستقرار والاستيطان في افريقية والمغرب في القرنين الاول والثاني للهجرة . وبالاضافة الى الاثراء الديمغرافي الذي حققوه لافريقية فقد ساهموا كذلك في تعميق التعريب والاسلمة في المنطقة ونجحوا الى حد كبير في صهر السكان وادماجهم في بوتقة الحضارة العربية الاسلامية .

ان التواصل الثقافي بين اليمن وتونس ليست وليدة اليوم بل هي متجذرة الى ابعد الحدود ولايمكن للمثقف العربي – مهما كانت ميوله وافكاره وآراؤه – ان لايقر بهذه الحقيقة التاريخية التي تفرض نفسها على الجميع وتبين مرة أخرى ان لاجدوى في انكار البعد التاريخي في دراسة اي حضارة واي مجال جغرافي معين .

اهم المصادر والمراجع :

- ابن الاثير . الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٥م.
- البكري المسالك والممالك تونس ١٩٩٢م .
- البلاذري ، فتوح البلدان ، طبعة بيروت ،١٩٨٧م.
- ابن حزم . جمهرة انساب العرب، القاهرة، ١٩٧٧م .
- ابن خلدون، المقدمة،بيروت ١٩٧١م
كتاب العبر ، بيروت . ١٩٩٢م .
- الدباغ . معالم الايمان في معرفة اهل القيروان ،تونس ١٩٩٣م.
- الرقيق القيرواني . تاريخ افريقية والمغرب ، تونس ١٩٦٨م.
- الطبري . تاريخ الرسل والملوك . القاهرة ١٩٦٩م .
- ابن عبدالحكم ،فتوح مصر واخبارها ،ليدن ، ١٩٢٢م .
- ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار افريقية والمغرب، بيروت ١٩٨٠م.
- ابو العرب طبقات علماء افريقية بيرت د.ت .
- ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، بيروت ١٩٨٢م .
- ابن الكلبي هشام ،نسب معد واليمن الكبير ، الكويت ١٩٨٨م .
- المالكي رياض النفوس ، بيروت ١٩٨٣م .
- المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ،ج٢٣،القاهرة ١٩٨٣م .
- اليعقوبي ،تاريخ ،بيروت ،د.ت .
- سلوى بحرية ، اليمانيون في المغرب والاندلس في القرنين الاول والثاني للهجرة ، شهادة الدكتوراة ، الجامعة التونسية ، تونس ، ١٩٩٩م.

هشام جعيط ، نشأة المدينة العربية الاسلامية ،بيروت ١٩٦٨م .

جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ١٩٦٨م .

- سعد زغلول عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصور الاستقلال ، الاسكندرية ١٩٧٩م .
- راضي دغفوس اشكاليات الانتشار في الاسلام المبكر ، تونس ٢٠٠١م .
- محمد الطالبي دراسات في تاريخ افريقية وفي الحضارة الاسلامية في العصر الوسيط ،تونس ١٩٨٢م .

* أستاذ التاريخ الوسيط بالجامعة التونسية.